حاجة ماسّة إلى طالب مسلم لعلم الهيئة

الأخ الدكتور محمد حميد الله

مضى زمن ؛ لما انعقد في آن آربر/أمريكا مؤتمر المستشرقين العالمي في سنة ١٩٧٦م ، ألقيت هناك محاضرة ترجمة عنوانها : (النسيء والتقويم الهجري والحاجة إلى تأليف جداول جديدة لتقابل السنين الهجرية والميلادية) ، ثم تلت مباحثة ، وأخيراً اتخذوا قراراً بالإجماع أن الجداول الموجودة (سواء بالألمانية أو الإنكليزية أو الروسية أو غيرها من لغات الغرب) كلها غالطة ، ونحتاج إلى تدوين جداول جديدة . اتخذوا هذا القرار أولاً في القسم الذي ألقيتُ فيه محاضرتي ، ثم في الاجتماع العمومي الأخير .

ثم طبعتُ محاضرتي المتواضعة هذه في مجلة جمعية التاريخ الباكستانية في كراتشي (يناير واكتوبر ١٩٦٨م) ثم مرة أخرى بعد تصحيحات في مجلة إسلامك ريفيو (من ووكنك ، إنكلترا ، فبراير ١٩٦٩م) .

خلاصة ما قلت :

١) تواريخ حوادث السيرة النبوية أُرّخت حسب تقويم النسيء ، المكّي إلى حجة الوداع ، أي طول حياة النبي ﷺ . وهذا التقويم غير التقويم القمري الهجري الإسلاميّ الذي نعرفه . وهناك اختلاف في مصادرنا في طريق النسيء في الجاهلية وصدر الإسلام : هل كان مرة في كل سنة ، أو كل سنتين ، أو كل ثلاث سنين ، أو عادة كل ثلاث سنين ولكن من زمن إلى آخر بعد سنتين فقط ، حسبما يطلب علم الهيئة ؟ وما دام هناك هذا الاختلاف ، يجب علينا أن ندقّق فيه ونفصل القول فيه ، وإلاّ لن يمكن لنا تعيين التواريخ التي تطابقها في السنة الميلادية المسيحية .

٢) من المعلوم حتى لأطفال المسلمين أن شهور السنة الهجرية تكون أحياناً ٢٩ يوماً وأحياناً ٣٠ يوماً ، سواء في رمضان أو غير رمضان . ومع ذلك فإن الجداول الإفرنجية الموجودة للتطابق بين التواريخ الهجرية والميلادية تقول بدون استثناء :

شهر محرم له ٣٠ يوماً وصفر ٢٩ يوماً

ربيع الأول ٣٠ يومياً وربيع الآخر ٢٩ يوماً

جمادى الأولى ٣٠ يوماً وجمادى الآخرة ٢٩ يوماً

رجب ٣٠ يوماً وشعبان ٢٩ يوماً

رمضان ٣٠ يوماً وشوال ٢٩ يوماً

ذو القعدة ٣٠ يوماً وذو الحجة له أحياناً ٢٩ يوماً وأحياناً ٣٠ يوماً حسب حساب علم الهيئة الخاص

وهذا في جميع الجداول ، سواء بالألمانية أو غيرها ، وحتى في تراجمها إلى العربية والأردية والتركية وغيرها . و لم يفكر أحد من هؤلاء المؤلفين للجداول –وأقدمهم في ١٦٠٩م باللاتينية– لو كان في شعبان دائماً ٢٩ يوماً وفي رمضان ٣٠ يوماً كما يدّعون ، فلماذا حيرة المسلمين كل سنة لصومهم وإفطارهم وحَجِّهم ؟ ثم من هؤلاء من يكتبون في صدد آخر أن من الممكن حسب علم الهيئة أن تجيء ثلاثة شهور متوالية كل واحد منها ٢٩ يوماً ، وأن تجيء أربعة أشهر متوالية كل واحد منها له ٣٠ يوماً حسب رؤية الهلال . فلم يراعوا علمهم في عملهم ، لأن العمل احتاج إلى مشقة .

٣) إنّ مدة الشهر القمري تتغير من شهر إلى آخر من ٢٩ يوماً و٦ ساعات إلى ٢٩ يوماً و٢٠ ساعة . ولذلك فرؤية الهلال وقت غروب الشمس تتغير أيضاً ، فهي أحياناً شهر من ٢٩ يوماً والشهر التالي ٣٠ يوماً ، وأحياناً شهران أو ثلاثة متوالية من ٢٩ يوماً ، أو من ٣٠ يوما . فنحتاج إلى الحساب الدقيق للمعرفة في أي شهر من أية سنة كان رؤية الهلال بعد ٢٩ يوماً ، وفي أي شهر بعد ٣٠ يوما ؟ وهذا لِمدة 1.400 سنة من تاريخنا الماضي .

٤) وهناك صعوبة أخرى : إنّ (ولادة القمر) كما يسمونها ، تكون في أثناء دورانه حول الأرض . ولذلك تتغير الرؤية حسب طول البلد وحسب عرض البلد . فربما لم يروا الهلال في شهرٍ ما بعد ٢٩ يوماً في إندونيسيا ولكن من الممكن أن يروا الهلال في بنغلادش أو باكستان أو مصر أو ألمانيا أو أمريكا بعد عدة ساعات نفس اليوم ، لأن غروب الشمس يتأخر في هذه البلاد عن غروبها في إندونيسيا . وكذلك من الممكن أن لا يروه في اسكندنافيا ولكن يروه في جنوبي أفريقيا أو جنوبي أمريكا نفس اليوم . لأن طول اليوم يختلف حسب عرض البلد : فعلى خط الاستواء يكون اليوم في جميع فصول السنة ١٢ ساعة تقريباً ، بينما هو أطول بكثير في ألمانيا مثلاً في الصيف ، وأقصر بكثير في الشتاء . والفرق على القطبين مدهش ، كما أكّد المسعودي ثم البيروني فهناك لا تغيب الشمس لستة أشهر متوالية وكذلك لا تطلع الشمس لستة أشهر متوالية (أي يوم واحد بدل ٣٦٥ ، ولا أدري إذا كان هذا هو مراد النبي عليه الصلاة والسلام أنه عند خروج الدجال يكون يوم كالسنة ، ثم يوم كشهر ، ثم يوم كالأسبوع وباقي أيام مكثه كأيامنا ؟) والعلم الحديث يقول هذا صحيح إلا يومي الاعتدال الربيعي والخريفي في السنة . فمن الممكن في البلدان المعتدلة (أي ما تحت ٦٦ درجة من عرض البلد ، وإلاّ ففوقها بلاد إلى القطب حيث يوم كسنة ويوم كشهر أو كأسبوع) أن يكون فرق ثلاثة أيام بين بلدين .

أنا لا أشتغل ها هنا بالمستقبل ، وهل يجب أم لا يجب توحيد المسلمين على رؤية مكة المكرمة (رؤية جبل كراء من الطائف بالضبط) ، بل أشتغل بالماضي لمعرفة تواريخ الحوادث من السيرة النبوية ومن تاريخ الإسلام عندئذ . فنعرف مثلاً بإجماع المؤرخين أن يوم عرفة في حجة الوداع سنة ١٠ كان يوم الجمعة ، وكذلك يوم عاشوراء من شهادة الإمام الحسين كان يوم الجمعة . ولكن لو راجعنا الجداول الإفرنجية ، فهي تؤكد أن التاسع من ذي الحجة سنة ١٠هـ كان يوم السبت ، وأن العاشر من محرم سنة ٦١هـ كان يوم الأربعاء ، ثم يضحكون على المؤرخين المسلمين وقلة إمكان الثقة بأذكارهم (بدل أن يقولوا : جداولنا هي خاطئة) .

لما رجعت من أمريكا ، حاولت مراراً أن تفوّض إدارة البحوث العلمية الفرنسية أو الألمانية أو جامعة آن آربر أو يونسكو هذا الأمر إلى الماهرين المتخصصين لتدوين جداول جديدة صحيحة ، فإن الفرق أحياناً من ثلاثة أيام ، ولكن لم أنجح إلى الآن . ومعرفتي لعلم الهيئة ضئيلة لا تكفي لهذا العمل الدقيق الطويل ، فسوف نحتاج إلى جداول عديدة أو تصحيحات لكل شهر من شهور 1.400 سنة أين كان الشهر من ٢٩ يوماً وهل كان في محلٍ ما من ٣٠ يوما .

فهل من طالب مسلم لعلم الهيئة يشتغل به ، وأنا مع جهلي أكون في خدمته لو احتاج إليّ ؟ وفقنا الله لما فيه رضاه .